طريقنا إلى الحرية
الثورة
العدد ٢٣ ٢٠ ت٢ ١٩٧٦
نشرة تنظيمية خاصة بأعضاء حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح - اقليم لبنان

محتويات العدد

فتح ديمومة الثورة والعاصفة شعلة الكفاح المسلح

الايديولوجية

الايديولوجيــة هي مجموعة من وجهات النظر والافكار السياســة والقانونية والاخلاقيــة والجماليــة والدينيــة والفلسفية .

ومن هنا لا يوجد انسان لا يحمل ايديولوجية ما .. كما انه ليس شرطا ان تكون مختلف انماط الايديولوجية التي يحملها انسان ما او طبقة او مجموعة من الناس ، على مستوى واحد من الانسجام والتناسق .. بل كثيرا ما يحمل انسان واحد انماط متناقضة من الايديولوجيات في الوقت نفسه . اذ من الممكن ان يحمل انماطا من الايديولوجية تنتسب لعصور سابقة في الوقت الذي يحمل انماطا اخرى تنتسب للمجتمع الذي يعيش فيه او الطبقة التي ينتمي اليها . كما ان من المحتمل ان تحمل طبقة ما عناصر ايديولوجية من طبقة اخرى ، ومرجع ذلك ان تطور الايديولوجية لا يحدده فقط تطور الاقتصاد لان الايديولوجية تمتلك استقلالا نسبيا محددا عن الاقتصاد والواقع القائم ، بمعنى ان هنالك بين الطرفين ترابط واستقلالية نسبية بنفس الوقت .

وهنالك ادلة كثيرة على صحة هذا الاستدلال مثل استحالة تفسير محتوى الايديولوجية تفسيرا مباشرا بالواقع الاقتصادى .. الى جانب التطور غير المتساوي **بين التقدم الايديولوجي والاقتصادي .**

ان الصراع الايديولوجي في داخل المجتمع يستجيب

التتمة على صفحة — ٣٥ —

الثورة والخط الاحمر

لان تجارب الثورة الفلسطينية كانت مريرة وملأى بالعبر ، فان الحيطة والحذر من كل اشكال التآمر هما المخرج الوحيد الذي به يمكن توظيف القوى الذاتية للثورة لاجهاض كل المؤامرات . واذا كان الشكل التآمري الجديد الذي نبهنا اليه في النشرة السابقة قد غدا واضحا ووضع موضع التنفيذ ، فان امكانية تلافي هذا الخطر واجهاض المخطط لا تزال ايضا قائمة . لقد نبهنا الى خطورة كون القوات السورية تشكل الجسم الاساسي لقوات الردع العربية وما سيتبع ذلك من دعم مطلق من هذه القوات لعملائها وامتداداتها في الساحتين الفلسطينية واللبنانية . لقد استطاع النظام السوري ان يأخذ مظلة من مؤتمري القمة في الرياض والقاهرة لتحقيق الامن وتطبيق اتفاقية القاهرة ، في الوقت الذي ظل فيه هذا النظام يشكل طرفا اساسيا من اطراف الصراع المنحازة كليا الى جانب القوى الانعزالية من اجل تحقيق اهدافه الاساسية في السيطرة على الثورة الفلسطينية واستخدامها ورقة لصالحه في مشروع الحل الاستسلامي التصفوي . لقد بدأت المرحلة الجديدة في مخطط

النظام السوري بأسرع مما كان الكثيرون يتوقعون . ففي الوقت الذي كانت تجري مباحثات وصفت بأنها ايجابية بين الاخ ابو عمار والرئيس الاسد ، كانت قوات من سرايا الدفاع تقوم بالهجوم على الاستوديو تحت غطاء منظمة الصاعقة . ورغم التفاهم على الطريقة « السلمية » التي بها يمكن للصاعقة ان تستعيد مكاتبها ، فقد ظهر الاصرار الواضح على ممارسة « الردع » داخل المخيمات الفلسطينية . ومن هنا تظهر خطورة المخطط التآمري الجديد . فاذا كانت مهمة قوات الردع القيام بالدور الذي كان على الجيش والامن العام اللبناني ان يقوما به والذي يتلخص بتحقيق الامن وتنفيذ اتفاقية القاهرة مع منظمة التحرير الفلسطينيه ، فان القوات السورية بحكم امتداداتها في الساحة الفلسطينية اصبحت تهدد)جديا ، امكانية تطبيق اتفاقية القاهرة بل وحتى امكانية وجود مثل هذه الاتفاقية . ففي الوقت الذي تصادر فيه اسلحة المناضلين الفلسطينيين واللبنانيين على حواجز الردع في المناطق الوطنية ، تسرح القوات الانعزالية وتمرح امام سمع وبصر التواجد الشكلي لقوات الردع في المناطق التي يسيطر عليها الانعزاليون . والاخطر من ذلك ، انه في الوقت الذي تصادر فيه الاسلحة من ابناء فتح على الحواجز ، يقف مرتزقة منظمة الصاعقة وزلم احمد جبريل على نفس الحواجز ليمارسوا الردع « الفلسطيني » المتكامل مع خطة ردع الثورة .

ويعطي التحرك الصهيوني في الجنوب المتناغم مع التحرك الانعزالي انذارا جديدا لمخططات انعزالية صهيونية امبريالية تستهدف تحقيق سلسلة من الاجراءات .

١ ـ تهديد النظام السوري (ممثل العرب في لبنان) بتدويل القضية اللبنانية اذا ما تعدت القوات السورية الخط الاحمر المرسوم ضمن الضمانات التي على اساسها وافقت جبهة الكفور على ادخال القوات السورية الى مناطقها .

٢ ـ الاصرار على تنفيذ اتفاقية القاهرة بالصورة التي تجعل وجود الثورة الفلسطينية في لبنان شبيها بوجودها في سوريا .

٣ ـ تأزيم الوضع في الجنوب عبر التحالف الصهيوني الانعزالي والدفع باتجاه تدويل الجنوب مما يستتبع تأزيم الاوضاع في المناطق الانعزالية لتدويل القضية اللبنانية بشكل عام ، وذلك باظهار عدم قدرة سوريا على تحقيق الامن والاستقرار والردع في كل الاراضي اللبنانية ، مما يستدعي وجود قوات دولية وعربية اخرى . وهنا يأتي دور مصر وفرنسا بارسال قواتهما لاحكام المخطط .

ان كل ما يخطط له لان يقود المنطقة الى انهاء حالة الحرب وفرض الوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية يتطلب اساسا تغييب الثورة الفلسطينية او تذويبها ضمن انظمة الحلول الاستسلامية . واذا كانت احلام النظام السوري في السيطرة على لبنان والاردن وجزء من فلسطين وتشكيل كونفدرالية تجد معارضة كبيرة من الحلفاء الآنيين للنظام السوري (السعودية ومصر والكويت) فان احلام النظام الاردني هي استعادة الضفة الغربية وتحقيق مشروع المملكة العربية المتحدة الذي يلاقي تجاوبا كبيرا من اوساط دولية وعربية . والعدو الصهيوني الامبريالي الذي

يتمتع الآن بقوة مادية ومعنوية تفوق كل المراحل السابقة نتيجة التدهور النضالي في المنطقة العربية ، يجد انه الاقدر على فرض شروطه دون الاضطرار الى تقديم اي تنازل . وهو لذلك يدفع باتجاه تسوية يتم فيها تسديد ثمن المناطق العربية من مناطق عربية اخرى الى جانب سعيه لتوسيع مدى احتلاله ليشمل جنوب لبنان . فالمخطط الصهيوني يدفع الآن باتجاه تعويض سوريا على الجولان بقطعة من لبنان تشمل البقاع والهرمل . في الوقت الذي يسعى لاحتلال جنوب لبنان مقابل انسحاب من بعض اجزاء الضفة الغربية لتحقيق مشروع المملكة العربية المتحدة .

ومن هنا نجد ان الدور التاريخي المطلوب من ابناء فتح تحقيقه في هذه المرحلة لا يتمثل فقط بعبور مؤامرة تصفية الثورة الفلسطينية، وانما بتدمير مؤامرة تصفية الروح القومية العربية واسقاط حضارة أمتنا في مهاوي التردي والانحدار . ان مهمة النهوض الحضاري والشموخ النضالي المنوطة بأبناء فتح تتطلب منهم جهداً وتضحية اكثر من اي وقت مضى . فلأن عظمة التضحية تتناسب مع عظمة المهمة ، فان الاستعدادات والتضحيات المطلوبة للتصدي لمهمة المرحلة القادمة تفوق كل وصف وهي وحدها القادرة على اثبات ان الثورة الفلسطينية .. ثورة المستحيل .. قادرة على صنع المستحيل .. وقادرة على تذويب كل الجليد المتراكم حول امتنا لتدفعها نحو النهوض الحضاري القادر على فرض وجودها التاريخي رغم انف كل الاعداء والعملاء .

ان تحقيق المهمة الصعبة على مدى المرحلة المقبلة يتطلب منا اول ما يتطلب ان نتصدى بايجابية وبمرونة بحيث تكون

مواقفنا منسجمة ومتلائمة مع اهدافنا . فلا يجوز مطلقا ان نخطىء في تحديد خارطة توزع القوى ومدى تعارضاتها وتناقضاتها . فلكي ننتصر علينا ان نكرس تكتيكاتنا في خدمة الخط الاستراتيجي العام لثورتنا وحركتنا . وهذا التحديد يستدعي وضع خط احمر من جانبنا لا يجوز مطلقا التساهل او التململ اذا ما اقترب منه اي معتدي .

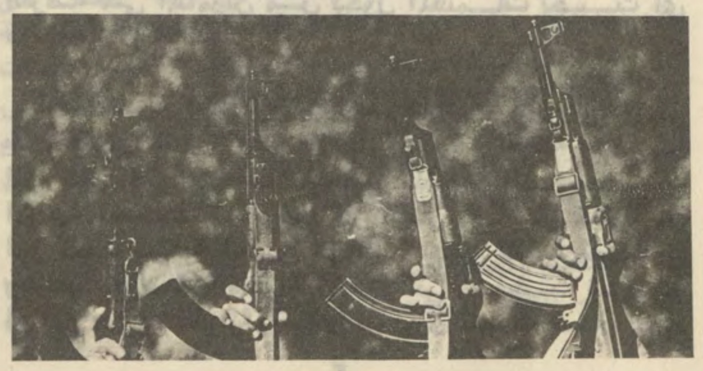
ان الانذارات التي عندها تصبح نتائج التصدي ، مهما كانت ، اسلم من التسليم بالامر الواقع هي التي تشكل باتصالها الخط الذي لا يجوز السماح بتجاوزه . ونقاط الانذار المبكر التي بدأت ترسل الآن اهتزازاتها تتطلب منا جميعا المزيد من الحيطة والحذر خشية العبور المفاجىء في مرحلة الخطر القاتل الذي يتمثل بالاقتتال الفلسطيني — الفلسطيني في المخيمات حتى يتسنى لقوة الردع فرض سيطرتها ووصايتها على الثورة الفلسطينية . ان على فتح، ومعها كافة التنظيمات الفلسطينية غير المرتبطة والمستهدفة مع فتح.ان تكثف التلاحم لمنع الاقتتال الفلسطيني وتفويت الفرصة على المتآمرين من دخول المخيمات تحت اي ذريعة .

ان مصادرة السلاح وتثبيت عدم شرعيه وجود البنادق في يد المناضلين يشكل اخطر المراحل حيث انه النقطة الحرجة التي تنقل الثورة من بحر الجماهير المسلحة الى سجن الانظمة المستسلمة . ولهذا فان القتال مهما كان ضاريا من اجل تثبيت شرعية البنادق هو الذي يعطي للثورة مضمون وجوهر وجودها . فتجربة الاردن التي اسقطت شرعية البنادق من يد الثوار واعطتها للمخازن تحت شعار تنظيم

اسلحة الميليشيا ، جعلت اعضاء التنظيم ينهارون امام انهيار القرار الذي تنازل ومزق اتفاقية القاهرة — عمان .

والجنوب الذي يشكل جوهر اتفاقية القاهرة هو المحك الرئيسي الذي لا يشكل فقط مدخلا لتنفيذ اتفاقية القاهرة بشكل صحيح ، وانما يشكل مخرجا للثورة من ازمتها . فمن هناك .. من الجنوب يكون عبور الثورة الفلسطينية بالامة العربية الى مداخل الحضارة العصرية . ومن الجنوب يكون التلاحم المصيري بين كل المناضلين العرب باتجاه تحقيق التلاحم القومي ضد الصهيونية والاستعمار وعملائهما . وعندما تتوجه البنادق في الاتجاه الصحيح يتطابق الهدف مع النيشان ... وعندها ليس على الاصبع سوى ان يعانق الزناد ليصنع النصر .

وانها لثورة حتى النصر



قضايا تنظيمية

العمل بالامكانيات المتوافرة والاستفادة منها الى اقصى حد

تقوم حرب الشعب على اساس العمل بالامكانيات المتوافرة والاستفادة منها الى اقصى حد ممكن . والسبب في ذلك يعود الى ان حرب الشعب تعتمد على الشعب اساسا ، ولذلك لا تتوافر لها الامكانيات المتوافرة للدول الكبيرة والغنية . واذا ما توافرت اية امكانيات فانها تكون قليلة نسبيا امام متطلبات الحرب ، وحاجة القوى الشعبية الواسعة .

ولذلك كان من ميزات حرب الشعب دائما انها تستخدم الامكانيات القليلة والمحدودة الى الحد الاقصى ، وانها تواجه الاعداء بما تيسر من الامكانيات لان قوة الروح المعنوية والوعي والتنظيم هي الاساس .

ولقد ادركت جماهيرنا وكوادرنا وعناصرنا ذلك منذ البدء ،

فهبت لمواجهه العدو الصهيوني بالامكانيات القليلة الضئيلة التي لا تذكر .

ولكن الثورة تقدمت ، واستطاعت ان تحصل على المزيد من الامكانيات . ومع نموها وتوافر الامكانيات لها نمت ظاهرة جديدة ، وهي ظاهرة المطالبة المستمرة بالمزيد من الامكانيات والافراط بالمطالب الى حد كبير . ونستطيع ان نقول ان هذه الظاهرة طغت ، وان العديد من الكوادر والعناصر انشغلوا بالحديث عن الامكانيات غير المتوافرة الخ ... وعن ضعف امكانياتهم امام الاعداء . ولم ينتبه هؤلاء انهم يبالغون عند الحديث عن نقص الامكانيات ، وانهم يتجاهلون اهمية الروح المعنوية والوعي والتنظيم .

ان الفعالية القتالية في حرب الشعب تعود اساسا الى الروح المعنوية والوعي والتنظيم . وحين تتوافر مثل هذه العوامل تكتمل مقومات القدرة القتالية . والتنظيم الذي لا يملك مثل هذه المقومات لا يملك القدرة القتالية حتى لو ملك كل الامكانيات .

وليس معنى ذلك ان الامكانيات لا اهمية لها . انها عامل مساعد عندما تتوافر العوامل الاخرى. وهناك جيوش انهارت، وهي تملك كل الامكانيات المادية اللازمة ، لانها بلا المعنويات والوعي والتنظيم . وجيوش شعبية قاتلت قتالا بطوليا وانتصرت بالحد الادنى من الامكانيات .

ولذلك يجب ان يكون شعارنا دائما الحد الادنى من الامكانيات بالحد الاعلى من الفعالية . ولا يجوز لنا انتربط مدى الفعالية القتالية بكمية الامكانيات . ولا ان تنهمك بالحديث عن ضرورة توفير الامكانيات وننسى اهمية العوامل المعنوية .

كما اننا لا يجوز ان ننسى ضخامة الامكانيات التي نملكها وسوء الادارة في استخدامها .

اننا حين نتحدث عن النقص في الامكانيات يجب ان نحصي بدقة الامكانيات التي نملكها او نحصل عليها ومقدار استخدامنا لها بفعالية . وعلينا ان ندين بشدة كل هدر للامكانيات او سوء استخدام لها ، وان نعمل على معالجة هذه الظاهرة بحزم وسرعة .

واذا ما طالبنا بالمزيد من الامكانيات فليكن ذلك ضمن اطار حاجتنا الماسة اليها وقدرتنا على استخدامها بفعالية . ولا يجوز لنا ان نرهن استعدادنا للقتال بحصولنا عليها .

اننا يجب ان نكون على استعداد دائم للقتال ، وفي كل الميادين . ويجب ان نتعلم كيف نستخدم الامكانيات الاقل باكبر قدر من الفعالية . وان ننتقد الاسراف والتبذير وسوء استخدام الامكانيات . ونعالج هذه الظاهرة بحزم وسرعة .

ان بعض الذين يبالغون في اهمية توافر الامكانيات المادية يخفون عجزهم وتقصيرهم وقلة حيلتهم ، كما ان بعضا منهم يخفي ضعف ايمانه بالوعي والتنظيم والروح المعنوية ، لانه لا يؤمن اساسا بحرب الشعب بل بالمفاهيم العسكرية النظامية التقليدية .

وهناك من يتأثر بما يرى حوله ، ولذلك حين يرى اغداق بعض الجهات على تنظيم معين او شرذمة معينة الكثير من الامكانيات المادية ، يعتبر ان هناك نقصا فادحا لديه ولـدى زملائه .

ونحن نرى ان مثل هذا الاغداق افسد الكثير من المناضلين وان هؤلاء كانوا ضحية الاغداق ، ولم يستفيدوا في نضالهم . ولهذا كله علينا ان نحارب هذه الظاهرة ، وان نؤكـد دائما على ما يلي :

اولا : الوعي والتنظيم والروح المعنوية هي الاساس ، لا قتال بدونها ، ولا حرب بدونها .

ثانيا : ان حرب الشعب تتطلب الاقتصاد بالامكانيات دائما واستخدام المتوافر منها الى الحد الاقصى .

ثالثا : ان اتمام النواقص ضروري ، ولا بـد من العمل الدائم لتوفير الحاجات الضرورية ، ولكن الاستعداد للقتال والتضحية ليس مرهونا بذلك .

فنحن نقاتل بما لدينا ، حتى يتوافر ما هو افضل واكثر .

رابعا : ان الاسراف والتبذير مفسدة للمناضلين ، وان على المناضلين دائما ان يحاربوا الاسراف والتبذير بكل الوسائل.

الفكر والتنظيم

لم يسجل التاريخ حتى الان ان مجموعة من البشر قامت بتنظيم نفسها دونما هدف تسعى لتحقيقه. ولم يسجل التاريخ ان بناء تنظيما قد كان هدفا في حد ذاته. وانما يسجله التاريخ هو ان كل التنظيمات بأشكالها المختلفة كانت وسائل وادوات لتحقيق اهداف محددة . وقد يبرز عبر مسيرة التنظيم لتحقيق الهدف من يعطون اهتماما اكبر لمسألة التنظيم ويجاهدون من اجل الفصل ميكانيكيا بينها وبين النظرية التي من اركانها الهدف المنوي تحقيقه . وهذا الاهتمام البارز الذي يغرق في القضايا التنظيمية الشكلية والذي لا يخدم باي صورة في مجال الممارسة العلمية هوالذي ولد النظرة تجاه هـذا الاهتمام الزائد ونعتها بانها **التنظيم من اجل التنظيم** . وحقيقة هذا الوضع هو انه انحراف عن النظرية التنظيمية التي هي وليدة النظرية الثورية ، تماما كما ان اهمال المسألة التنظيمية وايلائها مرتبة ثانوية من الاهتمام ، هو ايضا انحراف عـن النظرية الثورية .

ان بعض الاشكال البدائية للتنظيم والتي سادت في فترات تاريخية متفاوتة ، وبنيت على قواعد متوازنة، كانت تستهدف في حقيقتها تأمين مصلحة مشتركة تفرضها طبيعة الظروف . فالقبلية ، والعشائرية كانتا حتى فترة وجيزة تشكلان الروابط التي بها يجد الفرد نفسه ملتحما بالجماعة ، واقفا الى جانبها مؤازرا في السراء والضراء كما انه يجد الجماعة تدعمه وتقف الى جانبه في كل الظروف . هذا الشعور بالانتماء والالتزام بالمجموعة كانت تفرضه طبيعة مصلحة الفرد من جهة ومصلحة المجموعة من جهة اخرى .

ولقد قامت اشكال مختلفة من التنظيمات التي عملت من اجل تحقيق هدف ما . ويتدرج هذا الهدف من الاستيلاء على المال عن طريق السرقة في حالة تنظيم عصابات اللصوص وقطاع الطرق والقراصنة ، الى الاستيلاء على السلطة في حالات التنظيمات السياسية . واذا كانت القاعدة السائدة التي يجمع عليها تنظيم القراصنة هي الاقرار للزعيم بالقيادة المطلقة ، فان التنظيمات السياسية تتفاوت فيها هذه القاعدة بين تحقيق الشكل القرصاني عندما يسود التنظيم مبدأ المركزية المطلقة والاستبدادية الفردية كما هي الحالة في التنظيمات الفاشية الى تحقيق الشكل المشاعي الفوضوي عندما يسود التنظيم مبدأ الديمقراطية المطلقة والليبرالية والفوضوية ، الى تحقيق الشكل الثوري الذي تكون فيه المركزية الديمقراطية هي المبدأ الرئيسي للتنظيم .

تقوم التنظيمات السياسية دائما على اسس نظرية قد تكون علمية متكاملة او غيبية مبتورة . ويعود ذلك الى طبيعة المنهج الذي على اساسه تستنبط النظرية .. وصحة النظرية

لا تتوقف على تحديدها الصحيح للهدف وانما على تحديدها الصحيح للاسلوب الذي به ستصل الى تحقيق الهدف . ولا يمكن تحديد الاسلوب الصحيح الا اذا حددت المبادىء والمنطلقات النظرية تحديدا صحيحا .

وليس غريبا ان نجد مجموعة من التنظيمات السياسية في المجتمع الواحد تسعى لتحقيق هدف واحد ، ولكن لكل من هذه التنظيمات اسلوبه الخاص لتحقيق الهدف . ويرجع هذا التباين في اختيار الاسلوب الى حقيقة التباين في مناهج التحليل المستخدمة لتحليل الواقع وتحديد المنطلقات والمبادىء الاساسية للتنظيم السياسي ، والتي تشكل ركيزة اساسية من ركائز النظرية السياسية . فاذا ما اعتمد المنهج في نظرته الى الواقع وتحليله على المنطق الصوري في المعرفة فانه يرى الواقع من بعض جوانبه وفي حالة السكون في الزمان والمكان. كما انه لا ينفذ الى جوهر المشكلة وانما يكتفي بعكس بعض ظواهر الواقع . وبما ان مهمة التنظيم السياسي هي حل التناقضات الموجودة في الواقع ، فان المنطق الصوري يحاول ان يضع حلا للتناقضات الصورية والتي ليست سوى جزء من تناقضات الواقع تتحدد نتيجة عدم الشمولية والاستطراد في التفكير .ولهذا نرى هذه التنظيمات السياسية وان كانت قد اصابت في اجابتها على سؤال **ماذا نريد ؟** .. فانها تخطىء في تحديد **المنطلق** ، في تحديد من نحن ؟ من هم اصدقاؤنا ؟ من هم اعداؤنا ؟ .. الخ. والخطأ في تحديد المنطلق يقود حتما الى الخطأ في اختيار الاسلوب ، في تحديد **كيف نحقق ما نريد ؟** وكل ما تقدمه هذه التنظيمات السياسية في مسيرة النضال هو وضع العراقيل امام التوجه العلمي نحو الحقيقة، نحو تحديد التناقضات الموضوعة ووضع الحل الصحيح لها .

ولا يمكن تحديد التناقضات الموضوعية في الواقع المحدد الا اذا كانت النظرة لهذا الواقع تتسم بالشمولية ولاتقف عند مجرد عكس جانب من الاشياء ، وهذا ما يميز المنطق الديالكتيكي عن المنطق الصوري . والي جانب الشمولية فان المنطق الديالكتيكي لا ينظر الى الاشياء في حالة الثبات والسكون وانما يأخذها في مسيرتها التطورية ، متابعة طبيعة التناقضات التي كانت فيها ، والتي لا تزال ، والتي تنشأ فيها من جديد. وقوانين الديالكتيك تتجاوز النظرة المحددة لقوانين المنطق الصوري وافقه الضيق لتشتمل على وجهة نظر اوسع واعمق عن العالم . وهذه النظرة الشمولية التطورية للمنهج القائم على أساس المنطق الديالكتيكي تكتمل بتحديدها نقاط التوازن الديالكتيكي بين الاشياء ، وتحولها بالتراكم الكمي الى نوعيات جديدة وما يتبع ذلك من نفي الواقع لما كان ، وتفي المستقبل لما هو كائن ، وهكذا . ان تطبيق قوانين الديالكتيك على دراسة التفكير يخلق كل الظروف للنفاذ الى جوهره . فالمنطق الديالكتيكي يكشف عن ديالكتيك المعرفة اي عن قوانين . تطورها بما في ذلك تطور اشكال التفكير . وهذا يعني ان المنطق المذكور هو عبارة عن تعاليم عميقة وشاملة عن تطور **المعارف الانسانية بصفتها انعكاس** لتطور العالم المادي . وهكذا يبدو واضحا الفرق بين تحديد المنطلق ومن ثم الاسلوب على اساس المنطق الصوري وبين تحديدهما على اساس والمنطلق والاسلوب يحدد النظرية السياسية ..

الاستراتيجية والتنظيم .

ان التحرك من حيث نحن الى حيث نريد ، من **المنطلق الى الهدف** يتم عبر **الاسلوب** المحدد . وهذا الثالوث المشكل للنظرية لا يضعها موضع التنفيذ الا بالممارسة . ولا تتم هذه الممارسة الا اذا تمت ترجمة الفكر .. (النظرية) الى حالة مادية مجسدة بالانسان . هذه الحالة المادية للفكر النظري والتي تحمله من اجل تحقيق ذاته هي **التنظيم** . ان تتبنى مجموعة من البشر لفكر النظرية وممارستهم من اجل تجسيدها ماديا يتطلب وجود قاعدة تنظيمية تربط افراد التنظيم بعضهم ببعض ، وتحدد طبيعة علاقاتهم ، وتضع الحلول لكل ما ينشأ عن هذه العلاقات من تعارضات . هذه القاعدة التنظيمية هي اساس النظرية التنظيمية التي لا يمكن فصلها بأي شكل من الاشكال عن النظرية السياسية ... عن الفكر ... عن الاستراتيجية السياسية .. وهذا يعني ضرورة التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم . والذي يحدد الاستراتيجية التنظيمية والمبدأ الرئيسي للبنية التنظيمية هو **نظرة الفكر الى الجماهير** ، الى امكانياتها ، وطاقاتها ، ودروها التاريخي في التغيير والتطوير **اولا** ثم الاسلوب الذي يحدده الفكر ليحقق الاهداف **ثانيا** .

الفكر والجماهير :

ليس من السهل وضع حد فاصل بين نظرة واخرى الى الجماهير والى دورها قبل ان تحدد الفواصل بين النظرات

المتفاوتة في تحديد من هي الجماهير واي الفئات والطبقات تضم . وحيث ان للجماهير مفهوما مختلفا لدى الافكار المختلفة فان الانسجام بين الفكر ونظرته الى الجماهير (تحديد من هي وما هو دورها) يعطي نظرية تنظيمية منسجمة وعلى أساس مبدأ رئيسي منسجم مع الفكر . فعندما يحدد فكر ما ان الجماهير تعني كل الشعب او كل الامة دون تحديد لطبيعة المرحلة التاريخية والتطورية التي يمر بها الشعب او الامة فان هذا يعني ان السلطة هي في الحقيقه في يد جزء من الجماهير في يد جزء من الشعب . وان الطموح يتلخص في تمثيل اوسع هذا يعني ان السلطة هي في الحقيقة في يد جزء من الجماهير، للشعب وللجماهير داخل السلطة . وهكذا خطوة خطوة تزداد المشاركة الشعبية لتصل في النهاية الى تحقيق حكم الشعب ... تحقيق الديمقراطية .

وعندما يحدد فكر اخر ان الجماهير تعني ذلك الرعاع او السواد او الغوغاء او القطيع الذي لا شأن له والذي كل مهمته خدمة السادة النبلاء والالهة البشرية فان هذا الفكر يرفض بصورة الجزم امكانية ان تشارك الجماهير في السلطة ، وينفي امكانية الاستفادة منها لغير العمل اليدوي الالي .. عمل العبيد لخدمة السادة .

ان المنطق الصوري يمكن ان يضعنا أمام العديد من النظرات المجزوءة الى الجماهير والى تحديد من هي الجماهير الشعبية وبالتالي نظل أسرى عدم الشمولية والجمود . وللخروج من هذا الاسر نجد لزاما علينا ان ننطلق الى الافق الارحب والاكثر تطورا في تحديده للجماهير الشعبية في المراحل

التاريخية المختلفة وعبر الظروف الطارئة . فبالنسبة للمجتمع المشاعي البدائي لم يكن الفرق بين اصطلاح (السكان) و (الشعب) ذا اهمية جوهرية . اما في المجتمعات المتطاحنة فان هذا الفرق هام للغاية ، لان هناك هوة تزداد عمقا بين الجماعات المسيطرة وجماهير الشعب، وعندما يلغى استغلال الانسان للانسان في المجتمع الاشتراكي يعود مفهوم الشعب ليغطي ثانية كل السكان وكل الجماعات الاجتماعية .

وعبر الانتقال من مرحلة المجتمع المشاعي البدائي الى مرحلة المجتمع الاشتراكي فان تحديد مفهوم الجماهير الشعبية هو الذي سيحدد مدى صحة نظرة الفكر للواقع وبالتالي قدرته على تحديد المنطلق الصحيح في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي . ومن هنا تحديد مفهوم الجماهير الشعبية في المجتمع الاقطاعي لا يتطابق مع تحديده في المجتمع الراسمالي او المجتمع الطبقي . وهذه التحديدات تختلف عندما يعاني الوطن من كابوس استعماري امبريالي او استعماري استيطاني كما ويختلف **عندما يواجه المجتمع حالة اقتلاع ونفي وطرد من الوطن .**

واذا كانت مهمة الفكر في مرحلة من المراحل هي الدفع لانتقالها عبر الممارسة الى مرحلة أرقى في سجل التطور البشري فان الفكر الذي يتجاهل طبيعة الواقع ويعمل على الانتقال بالطفرة من مرحلة اجتماعية بدائية الى مرحلة متطورة دون المرور بمستلزمات التطور الاجتماعي والمراحل الوسيطة ، هذا الفكر يكون قد اخطأ اول ما اخطأ في تحديد مفهوم الجماهير الشعبية في مرحلة الواقع . فالمجتمع

الاقطاعي الذي يسود فيه اي من الثالوث الاقطاعي ، الاقتصادي ، السياسي او الديني او كلها مجتمعة ويتحكم بكافة فئات الشعب الاخرى التي هي خارج السلطة وتحت نير استغلالها ، هذه الفئات تشكل جماهير الشعب لانها اولا صاحبة المصلحة الاساسية في تقدم المجتمع . ولانها ثانيا تمتلك القدرة على التغيير . وجماهير الشعب في تلك المرحلة تتكون من الفلاحين ، والعمال ، والحرفيين ، والبرجوازية الناشئة . واذا كانت الليبرالية قد لعبت دورا ثوريا للانتقال من مرحلة الاقطاع الى مرحلة الراسمالية فانها ليست كذلك في مسيرة الانتقال من مرحلة الراسمالية الى مرحلة الاشتراكية .

والانتقال من مرحلة المجتمع الاقطاعي الى مرحلة المجتمع الراسمالي يغير خريطة الانتماء للجماهير الشعبية . ففي ظروف الراسمالية تتعارض البرجوازية الكبيرة مع الجماهير بينما تقف البرجوازية الصغيرة ضمن الصف الجماهيري الذي يضم الطبقة العاملة والفلاحين وفئات المثقفين الثوريين .

واذا كان القفز عن المراحل التاريخية للتطور البشري غير ممكن فان التداخل بين هذه المراحل ومواجهة مرحلة كالراسمالية مع بقايا مرحلة كالاقطاع هو امر وارد حيث ان مرحلة الصراع الطبقي في البلدان النامية تواجه عادة بقايا عصر الاقطاع الذي تدعمه الامبريالية .. اعلى مراحل الراسمالية .

ان هذه التحديدات المختلفة لمفهوم الجماهير في المراحل التاريخية المختلفة يقصد منها تحديد تاثير هذا المفهوم الفكري

للجماهير عند محاولة ترجمة الفكر الى حالته المادية . واذا كنا قد سقنا الامثلة عن مفهوم الجماهير عبر الانتقال التاريخي في مراحل التطور الاجتماعي فان ما نواجهه اليوم وفي هذا العصر هو في الحقيقة مرحلة تاريخية محددة هي مرحلة الراسماليه واعلى مراحلها الامبريالية والتي تأخذ نتيجة للظروف المختلفة من بلد لاخر اشكالا مختلفة . وتحديد مفهوم الجماهير في هذه المرحلة يخضع لعاملين اساسيين ، أولهما موضوعي وهو التحديد الذي تفرضه طبيعة المرحلة التاريخية، والاخر ذاتي وهو التحديد الذي يفرضه الشكل الامبريالي الذي يواجهه كل قطر او بلد على حدة .

فالمفهوم الموضوعي للجماهير الشعبية في البلد الراسمالي يعني كل الطبقات في ذلك البلد والتي هي عمليا خارج السلطة. وينعكس التناقض الاساسي في الراسمالية بين الطبيعة الاجتماعية للعمل والشكل الراسمالي الخاص للتملك في التطاحن بين الطبقتين الاساسيتين في المجتمع الراسمالي ، وهما البروليتاريا والبرجوازية . وتقف الى جانب البروليتاريا في تطاحنها مع البرجوازية الراسمالية الحاكمة كل الفئات التي تتبنى الفكر البروليتاري الاشتراكي او التي تعادي بدرجة ما الفكر الراسمالي الامبريالي . واذا كان من الواضح ان التحديد الموضوعي لمفهوم الجماهير في مرحلة الراسمالية يتضمن بصورة اساسية الطبقة العاملة (البروليتاريا) فان الوضع الذاتي للحالات التالية يضيف قطاعات واسعة من الشعب ليتحدد منها مفهوم الجماهير .

الحالة الاولى :

البلدان التي يحكمها الاستعمار حكما مباشرا ويعمل بذلك على خلق طبقة من البرجوازية الحاكمة المستفيدة من وجوده . في هذه الحالة فان الجماهير الشعبية تضم العمال ، والفلاحين ، والبرجوازية الوطنية ، ويكون هدف كل هذه الفئات هو التخلص من الاستعمار وطرده وتحرير الوطن . وتحدد مرحلة التخلص من الاستعمار **بمرحلة التحرر الوطني** .

الحالة الثانية :

البلدان التي يدعم فيها الاستعمار حكامها الطبقيين ويدعم وجودهم للحفاظ على المجتمع الرأسمالي الاستغلالي فيها مستفيدا بذلك من تحقيق مصالح استراتيجية عسكريه او اقتصادية . في هذه الحالة يتداخل النضال ضد التدخل الاستعماري من جهة وضد الاستغلال المحلي من جهة اخرى ويتداخل بذلك النضال الوطني والنضال الديمقراطي في **مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي** والتي تضم جبهة الشعب العريضة من العمال والفلاحين والبرجوازية الوطنية مع الحرص على اعطاء البرجوازية الوطنية دورها الممكن في النضال دون مبالغة وذلك لضمان قيادة فكر الطبقة العاملة لهذه المرحلة .

الحالة الثالثة

البلدان التي تعاني من تدخل استعماري ليس مباشرا فحسب ... وانما استيطاني يقتلع المواطنين الاصليين ليحل

مكانهم غرباء هم ادوات لتنفيذ المخططات الامبريالية . وهذا الشكل من الاستعمار العنصري الذي لا يتورع عن ابادة السكان الاصليين اذا لم يحقق طردهم ، يشكل اعلى مراتب الامبريالية وهو بالتالي يستقطب لمواجهته كل الشعب ... كل المظلومين والمطرودين . واذا كانت الفوارق الطبقية لفئات الشعب قبل طردهم او احتلال وطنهم ومصادرة ممتلكاتهم كانت ظاهرة لتقسيمهم طبقيا فان حالة التشرد والنفي والاقتلاع تجعلهم يشكلون طبقة المطرودين او المأسورين بالاحتلال الذين لهم جميعا مصلحة اساسية في تحرير الارض واستعادتها . اما الافراد من هذا المجتمع المقتلع والذين يعملون مع العدو او مع الامبريالية لتكريس الاقتلاع مقابل مصالح شخصية مادية فلا يجوز اعتبارهم او جمعهم ضمن طبقه محددة . وفي ظرف ذاتي كهذا يصبح التقسيم الحقيقي للمجتمع المطرود او المحتل استيطانيا هو كون الانسان فيه وطنيا او غير وطني ويصبح التركيز فيه وتعبئة الجماهير التي تضم كل الشعب على اساس ايديولوجية وطنية هدفها الاول والاساسي والرئيسي هو تحرير الوطن وطرد الاستعمار والمستوطنين الغرباء وتحكم هذه الحالة الذاتية قوانين **مرحلة التحرر الوطني** .

ان الفكر الذي يحدد مفهومه للجماهير في كل مرحلة ويحدد درجات الانتماء الجماهيري عند الفئات المختلفة ودرجات مصالحها ومدى التحامها الاستراتيجي وتصميمها على المضي لتحقيق الهدف النهائي ، هذا الفكر يحدد طبيعة البنية التنظيميه على اساس التهديد لمفهوم الجماهير . فلا يجوز ان يعمد الفكر لبناء التنظيم من افراد ينتمون الى الطبقة البرجوازية في مرحله الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية

كما وانه لا يجوز ان يحرم البرجوازية الوطنية من حقها في الانتماء لحركة التحرر الوطني في مرحلة مصارعة الاستعمار بأشكاله المختلفة . ان التوازن في البنى التنظيمية بين لبنات الخلايا التنظيمية وفئات الجماهير يجعل الهرم التنظيمي صلبا من جهة وممثلا للجماهير من جهة اخرى ومنسجما تما مالانسجام مع الفكر من جهة ثالثة . ان تحديد الفكر لمن هي الجماهير . ولمكوناتها في المراحل المختلفة يتبعه تحديد الفكر للدور التاريخي الذي تلعبه الجماهير من اجل تحقيق مصالحها . واذا كان تحديد مفهوم الجماهير يحدد طبيعة لبنات البناء التنظيمي فان تحديد دور الجماهير هو الذي يحدد القاعدة الاساسية للبنية التنظيمية . الاسمنت الذي به تترابط اللبنات وتتلاحم من اجل بناء الهرم التنظيمي . ويتداخل مع تحديد الدور التاريخي للجماهير تحديد دور الافراد القياديين . تحديد دور الشخصية في التاريخ ومدى درجة تحديد الفكر للتوازن او للانفصال بين دور الجماهير ودور الشخصية البارزة في التاريخ .

ان حالة الانفصال قد نتجت عن فكرين متناقضين في النظرة الى دور الجماهير . والى دور الشخصية البارزة في التاريخ :

النظرة الاولى :

وهي نرى ان الجماهير تستطيع بصورة اسطورية وبدون اي شرط ان تفهم العمل الثوري فهما واضحا . **وان الثورة (كما يراها باكونين احد مؤسسي مذهب الفوضوية) ، هي عمل شعبي تلقائي ثلاثة ارباعه خيال وربعه واقع**

وتنظيم . وان المهم في الثورة هو اثارة الجماهير للقيام بأعمال طائشة من التدمير والقتال والتخريب .

وهذه النظرة ترفض بناء التنظيم الثوري على اساس قواعد محددة وانما تعتبر ان حرية الفرد وتحقيقه لمصلحته الشخصية هو الذي يحقق المصلحة العامة للمجتمع . وهذه النظرة هي في حقيقتها مزيج من المذهب الفوضوي والمذهب الليبرالي . وفي احسن حالات هذه النظرة الى التنظيم فان ما ينتج عنها هو تنظيم اصلاحي نقابي ذو شكل هلامي انفلاشي مزاجي النزعة لا يحوي اي درجة من الالتزام تسود فيه الديمقراطية المطلقة والحرية الفردية . وهذه النظرة يتساوى عندها جميع الافراد ، وهي تنكر دور الشخصيات البارزة في التأريخ وترفض اي نوع من المركزية وتطمح الى تحطيم كل اشكال السلطة .

النظرة الثانية :

وهي ترى ان الجماهير ليست سوى قطيع من العبيد الذي لا شأن له ولا مهمة الا تعبيده الطريق امام نشاط الفرد الجبار . وتعتمد هذه النظرة على ايديولوجية مزدوجة شقها الاول يتخصص في تغذية روح الخنوع بين الشعب العامل لتحقيق (اخلاق العبيد) ، وشقها الثاني يتخصص في تربية فريق من السادة (اخلاق السادة) والمنظر الاساسي لهذه النظرة هو الالماني **نيتشه** الذي من افكاره استمدت الفاشية نظريتها بتأليه الفوهرر . ان الدور الاساسي في التاريخ تعطيه هذه النظرة للشخصية .. للفرد .. للزعيم ، وهي ترى ان دور الجماهير في التاريخ هو دور الكتلة السالبة التي يعطيها ويهيىء لها مصلحتها وعظمتها الزعيم . وان وجود الزعيم او عدمه هو الذي يعطي الشعب او الامة دورها

التاريخي ، وان هذا النوع من النظرة الى الزعامة تكرس عبادة الفرد حتى بعد ان يموت .

والى جانب تقديس اهمية دور الشخصية .. والزعيم ، يبرز تقديس اهمية دور الطليعة المكونة من عدد محدد من البشر يأخذ شكل تنظيم النخبة الواعية التي مهمتها ان تعمل بدلا عن الجماهير اللاواعية ومن اجلها . ان بناء التنظيم حسب هذه النظرة الى الجماهير يقوم حتما على اساس من الدكتاتورية والاستبدادية الفردية والمركزية المطلقة . ان حالة الانفصام قد ولدت قاعدتين رئيسيتين للبنى التنظيمية هما الليبرالية والدكتاتورية الاستبدادية ، ولكن حالة التوازن بين دور الجماهير ودور الشخصية يعبر عنها الفكر الثوري بخلق تنظيم طليعي يؤمن اول ما يؤمن وتقوم نظريته الثورية على اساس خط الجماهير الذي هو : التأكيد في النظرية والممارسة على :

١ — ان على الجماهير الشعبية ان تحرر نفسها بنفسها .

٢ — ان المهمة الاساسية للطليعة هي الخدمة الصادقة للجماهير . وان دورها القيادي للجماهير هو ان ترشدها الى الطريق الصحيح في نضالاتها وان تساعدها على ان تتحرك للعمل هي نفسها لتخلق حياة سعيدة .

٣ — ان الحركة طليعة للجماهير وليست بديلا لها . وهذا هو الفرق بين نظرية الطليعة في التنظيم وبين نظرية النخبة ، حيث ان تنظيم الطليعة يعمل مع الجماهير وللجماهير ، يتعلم منها ويعلمها . بينما لا يعتمد تنظيم النخبة على الجماهير . قد يعتقد انه يعمل لمصلحتها في الوقت الذي يعمل لمصلحة عدد محدود من البشر الذين لن يكونوا احسن حالا اذا استولوا على السلطة من الذين سيطردونهم .

ان الفكر الثوري الذي يوازن بين دور الطليعة والجماهير . . دور القيادة والقاعدة يتحتم عليه ان يقوم على اساس قاعدة

تتوازن فيها المركزية والديمقراطيه في وحدة لا تنفصم ولا تسمح بطغيان احداهما على الاخرى . هذه القاعدة هي المركزية الديمقراطية . وهي تظل المبدأ الرئيسي للبنية التنظيمية ما دامت درجة التوازن الديالكتيكي بين المركزية والديمقراطية لم تصل الى اللحظة الحرجة التي ينتج عندها تحولات نوعية تؤدي الى الاطاحة بالمركزية الديمقراطية كمبدأ لينتج عنها اما حالة من الاستبدادية الدكتاتورية او حالة من الفوضوية الليبرالية .

الفكر والاسلوب :

ان تحديد الفكر للاسلوب الامثل لتحقيق الغاية يرتبط اساسا بتحديد من هي الجماهير الشعبية وما هو دورها في التغيير . وهو يرتبط اولا بالتحديد الشامل للمنطلق ... لمن هم اعداء الجماهير ولمن هم اصدقاؤها . فالاسلوب المحدد وتأثيره الجدلي بالمنطلق والهدف يجعل من التلاؤم الاستراتيجي بين النظرية الثورية والنظرية التنظيمية تلاؤما حتميا بين الاسلوب والاستراتيجية التنظيمية ، كما يحتم ايضا التلازم بين الهدف والاستراتيجية التنظيمية . واذا كان هدف التنظيم السياسي هو الوصول الى السلطة فان كل اسلوب يتجدد لتحقيق الهدف يتطلب بنية تنظيمية متلائمة معه . فالوصول الى السلطة اعتمادا على اسلوب المؤامرة الانقلابية يحتاج الى بنية تنظيمية خاصة تضم مجموعة محددة من الافراد . ويقتضي هذا الشكل من التنظيم اعلى درجات السرية وبذلك يتحتم ان يقوم على اساس مبدأ المركزية المطلقة . وان نجاح المؤامرة يفرز دائما الزعيم الدكتاتوري الذي يكرس تسليمه للسلطة مبدأ الاستبدادية الفردية . اما الوصول الى السلطة عن طريق الثورة العفوية الشاملة او عن طريق النضالات البرلمانية الاصلاحية فان طبيعة الشكل التنظيمي تتنافى مع اية درجة من المركزية الملزمة ، وهي بذلك تعطي للفرد حريته

المطلقة . فالفرد ينفذ ما يريد ويستطيع ان يرفض تنفيذ ما تريده المجموعة . ويتحكم في اية بنية تنظيمية مبدأ انه ما دام لا يجوز للفرد ان يجبر العالم (لو استطاع ذلك) على تنفيذ ما يريده فانه لا يجوز للعالم ان يجبر الفرد على تنفيذ ما لا يريده . وهذا الالتزام الهلامي يعطي بنية تنظيمية هلامية انفلاشية تقوم على اساس من الديمقراطية المطلقة ... التي هي كما اشرنا سابقا مزيج من الفوضوية والليبرالية .

والفكر الثوري يكون اسلوبه في التغيير ثوريا . ورغم التأثير الاساسي لمرحلة التاريخية في النضال على اختيار اسلوب ثوري متلائم معها وهو قد لا يكون ثوريا البتة في مراحله المتقدمة ، فان تصفية الاستعمار والامبريالية لا تتم الا عبر النضال الثوري المسلح في مرحلتي التحرر الوطني والترحر الوطني الديمقراطي . ان اختيار حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد اسلوبا استرتيجيا للنضال يحتم جعل البنى التنظيمية متلائمة مع هذا الاسلوب . فالتنظيم الثوري الذي يتصدى لتحقيق النصر والوصول الى التحرير عبر حرب التحرير عبر حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد يتحتم ان يكون :

١ ــ تنظيما جماهيريا تشكل هرمه لبنات من القوى الشعبية التي تصنفها النظرية الثورية على انها ضمن الجماهير . وهذا يتطلب ايضا بناء المنظمات الجماهيرية النقابية والفئوية لتعزيز النضالات المطلبية للشعب وتحقيق الديمقراطية . ويشترط ان يقود التنظيم طلائع مؤمنة وكفؤة وقادرة على الحفاظ عى خط الجماهير وحمايته من محاولات الانتهازيين والمترددين والقصيري النفس التي تهدف الانحراف بالثورة .

٢ ــ تنظيما مقاتلا وهذا يتطلب بنية تنظيمية تقوم على اساس الانضباط الحر والمركزية الصارمة . ان مبدأ الانضباط

العسكري كضرورة اساسية للتنفيذ وتحقيق النصر يشترط حرية القاعدة في التعبير عن ارائها وفي اختيار قادتها . ان مبدأ ديمقراطيه الراي ودكتاتورية التنفيذ هو تعبير عن التلاحم بين المركزية والديمقراطية بصورة لا تنفصم والذي هو تعبير عن تلاحم لا يجوز انفصامه بين القاعدة والقيادة .

٣ ــ تنظيما يعتمد في قيادته على الجماعية . لان القيادة الجماعية هي المبدأ الاساسي لقيادة التنظيم وهي شرط لا غنى عنه للنشاط الطبيعي للتنظيم على كافة المستويات .

٤ ــ تنظيما يكون فيه النقد والنقد الذاتي مبدأ اساسيا للبناء والتطور من خلال العلاقة الجدلية بين النظرية الممارسة ومن خلال التدخل في اللحظة المناسبة وباشكل المناسب بين الافعال او الاقوال ونتائجهما ، او بعد وقوع النتائج ، وذلك لتأكيد النتائج الايجابية ودحض النتائج السلبية وتحديد حركة الافعال او الاقوال وتوافقها مع المنطلقات وكشف التناقضات لتي كانت فيها والتي لا تزال والتي نشأت فيها من جديد .

التكتيك والتنظيم :

ان مهمة التنظيم هي تجسيد الفكر النظري ، الاستراتيجيه. بالممارسة العملية . ولكن هذه الممارسة لا تتصدى لتنفيذ الاستراتيجية دفعة واحدة وانما عبر خطوات تنتقل وينتقل بها التنظيم من واقع الى آخر يكون اكثر تقدما نحو الهدف . وكما يتحكم الفكر في التنظيم استراتيجيا فانه يتحكم به تكتيكيا ايضا . لقد حددت لنا اشكال التفكير المختلفة ثلاثة حالات اساسية وبينت ما هي طبيعة اللبنات التنظيمية في كل منها اعتمادا على تحديد الفكر لمن هي الجماهير . كما وانها حددت المبدأ الرئيسي للتنظيم في كل منها . ن المبدا ارئيسي للتنظيم والذي هو حصيلة افراز حتمية للفكر هو اذي يحدد اساسا طبيعة التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم وهو الذي

يتحكم ايضا بطبيعة التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم .

ان ابسط المبادىء الرئيسية للتنظيم والتي يفرزها الفكر الفوضوي والليبرالي هو مبدأ **الديمقراطية المطلقة** والتي نعني فيها بمعنى الكلمة الفوضوية والليبرالية . وهذ المبدأ كما أوضحنا لا يقوم على اساسه اي بناء تنظيمي سليم وانما يأخذ التنظيم شكل تجمعات هلامية انفلاشية . وحيث ان هذا الفكر لا يمتلك استراتيجية سياسية محددة فهو بالنتيجة لا يمتلك استراتيجية تنظيمية محددة . فلبنات البنية التنظيمية فيه عامة وغير محددة يتساوى فيها نظريا جميع الناس . والاستراتيجية الغير محددة تفرز حتما تكتيكات غير محددة ، ولهذا فان طبيعة التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم تصبح انعكاسا عن طبيعه التلاؤم الاستراتيجي الذي لم يحدد اصلا غير بنية تنظيميه انفلاشيه هلاميه مزاجية النزعة ولا يحوي اية درجة من الالتزام تسود فيه **الديمقراطية المطلقة** والحرية الفردية . ولهذا فان التكتيك لا يفرض على التنظيم (التجمع) اية اشكال محددة في المراحل المحددة ولمواجهة المهام المحددة.

وعلى عكس الفكر الفوضوي الليبرالي فان الفكر الفاشي او الفكر التامري يحدد مبدأ رئيسيا للتنظيم وهو مبدأ **المركزية المطلقة** التي تعني بناء التنظيم الفاشي الدكتاتوري الذي تسوده نزعة الاستبدادية الفردية . هذا التحديد الواضح للقاعدة التنظيمية الى جانب التحديد الواضح ايضا لطبيعة لبنات البنية التنظيمية ، يؤكد حقيقة التلاؤم الاستراتيجي بين الفكر والتنظيم ويؤكد ايضا حتمية التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم . ان ثبات المبدأ الرئيسي للتنظيم وعدم مرونته وصرامته لا تعني بالضرورة ان تتخذ التنظيمات المجسدة للفكر الفاشي التآمري شكلا تنظيميا جامدا ومحددا وموحدا . ان هذا الفكر يتخذ اشكالا تنظيمية مختلفة لتتلاءم مع طبيعة كل اسلوب محدد . فاذا كان الاسلوب المحدد هو القفز على

السلطة عبر انقلاب وحل التناقضات دفعة واحدة فان الخطة التكتيكية تتطابق مع الخطة الاستراتيجية ويتطابق شكل التنظيم مع المبدأ الرئيسي للبنية التنظيمية في حالة من السكون والجمود . ويكون هذا التنظيم ذو الشكل الواحد لتحقيق هدف واحد يتم الانتقال اليه دفعة واحدة . ان مثل هذا الفكر يتجه في الحقيقة لحل جزء من تناقضات الواقع الموضوعي اي انه ابعد بكثير من ان يكون فكرا استراتيجيا . ان الفكر التامري يرى في مجرد تغيير الحكام انتقالا من الواقع الموضوعي الفاسد الى واقع ثوري تقدمي جديد دون ان يأخذ في الاعتبار كل المعطيات الضرورية لتحقيق الواقع الثوري . فالفكر التآمري يتخذ شكلا تنظيميا واحدا ، واي خلل في اي من لبناته يجعله ينهار تماما . فالصدفة ، والحظ يلعبان دورا اساسيا في تحديد الى اي بيان سيستمع الشعب . هل للبيان رقم واحد ، ام لبيان فشل محاولة مجرمة هدامة .

اما اذا كان الفكر الفاشي يتخفى خلف شعارات براقة كالاشتراكية الوطنية (النازية) ويعتمد في بنيته التنظيمية (الاداه) على الشباب العاطل عن العمل والضبابي الثورية والمتعلق بالمبدأ الاستبدادي ، فان التنظيم يأخذ الشكل العسكرى المحض (فرق الصاعقة الهتلرية) . ويقود الزعيم الفرد هذا التجمع الذي يتكاثر حول الكلمات الثورية والوطنية البراقة نحو غايته للوصول الى السلطة وتكريس طبقة السادة (الزعيم ومريدوه) وطبقة العبيد (الشعب) .

ويتميز الفكر الثوري بامتلاكه لاستراتيجية واضحة ومحددة في خطها التطوري العام . وهو بذلك يحدد ان الوصول الى الهدف يتم عبر الانتقالات المتتالية من موقع الى اخر في اتجاه الهدف عبر تقييمات جديدة وتطور دائم للنظرية من خلال الممارسة . والممارسة اليومية للتنظيم هي التطبيق التكتيكي للخط الاستراتيجي العام ، وعليه فان التلاؤم الاستراتيجي

بين الفكر والتنظيم يتجسد يوميا من خلال التلاؤم التكتيكي بين الفكر والتنظيم ، بين انسجام التنفيذ مع التخطيط والممارسة مع النظرية مع المحافظة وبشكل دائم وعبر كل الظروف على المبدأ الرئيسي للتنظيم ضمن حالة من التوازن الديالكتيكي متطورة ومتغيرة فان تكتيكاته تتطور وتتغير ايضا. وهذا التغير بين المركزية والديمقراطية . وبما ان ظروف العمل الثوري يستدعي التلاؤم الدائم بين التكتيك والتنظيم . والفكر الثوري يؤمن ان النصر الكبير هو مجموع الانتصارات الصغيرة. وان مهمة التنظيم في كل مرحلة من مراحل النمو الثوري وفي كل خطوة نحو الهدف ان يحقق انتصاره المرحلي . وهذا يتطلب ان يحدد التنظيم الحلقة المركزية للنضال في كل مرحلة وفي كل مهمة وان يتوجه نحو معالجته لتحقيق الهدف الاني بنفس الجدية التي يتوجه فيها لتحقيق الهدف النهائي. ان هذا يتطلب ان يفرز التنظيم لكل مرحلة ولكل ظرف ولكل مهمة شكلا تنظيميا متلائما يحقق تنفيذها بنجاح . ان المراحل الاولى للثورة والتي تكون فيها البؤرة الثورية الطليعية محدودة العدد تمتلك فكرا يستهدف تحقيق الشمولية وتتوجه بجماعها للخوض في دراسة الواقع الموضوعي باستفاضة عبر الاستقصاء الشامل للاجابة على كل التساؤلات وتحديد كل التناقضات الموضوعية . هذه المرحلة هي في الحقيقة مرحلة وعي الطليعة ، مرحلة التحديد النظري للفكر الثوري . ويبنى التنظيم في هذه المرحلة من لبنات انتقائية مختارة متقدمة الوعي والحس الثوري ويأخذ التنظيم شكلا سريا مما يستدعي درجة عالية من المركزية على حساب الديمقراطية .

ويبدأ النمو التنظيمي عبر التحام الطليعة بالجماهير وتفاعل الوعي الطليعي بحس الجماهير وتجربتها وما يتمخض عن هذا التفاعل من دروس متبادلة للطليعة وللجماهير . هذا التفاعل يفرز طلائع واعضاء جددا ينضمون الى التنظيم . ومع

نمو التنظيم تنمو مهماته .. فالتنظيم بحاجة الى توعية ، وكذلك الجماهير . وهذا يقتضي اشكالا تنظيمية لتواجه مهام التوعية والتثقيف التنظيمي والجماهيري . ونمو التنظيم يقتضي تنفيذ مهام الحماية والامن ، وهذا يتطلب اشكالا خاصة . ونمو التنظيم وتطور مراحله يتطلب الاعداد لمواجهة القوى المضادة بالعنف المسلح . وهذا يعني التدريب العسكري .. ويتطلب ذلك اشكالا تنظيمية متطور . ومع ممارسة الكفاح المسلح يبدا التسارع في افراز الاشكال التنظيمية المختلفة لتلائم طبيعة الزمان والمكان . فحرب عصابات المدن تحتاج لصيغة تنظيمية تختلف عن تلك التي في الريف . وتطور حرب العصابات الى مراحل متقدمة من حرب المواقع او الحرب المتحركة يحتاج لاشكال جديدة تنظيمية وواجهات جماهيرية . وفي كل حالة من هذه الحالات والتكتيكات، فان المركزية الديمقراطية تظل في حالة من التوازن الديالكتيكي . فالسرية التي تقتضي مزيدا من الشكل السري للتنظيم والذي يعني مزيدا من المركزية ، يقابلها جماهيرية التنظيم والذي يقتضي درجة من العلنية والذي يعني المزيد من الديمقراطية . والعمل المسلح يقتضي انضباطا عسكريا صارما يقابله النضال السياسي الجماهيري الذي يتطلب ديمقراطية اوسع . وهكذا تظل اشكال التنظيم في تطور مستمر مع النمو الثوري حتى الوصول الى مرحلة تشكيل القوات النظامية والذي يقتضي تلاؤما في الوضع التنظيمي مع الشكل العسكري . وهكذا يصبح التنظيم المسلح (الميليشيا) جزءا من قوات الثورة وتصبح منظماته القاعدية مرادفة لمثيلاتها في القوات النظامية .

ان اهمية الشكل التنظيمي ليست فقط في المهمات النضالية التي يقوم بها التنظيم ضد العدو وانما في المهام التي يقوم بها لخدمة الجماهير . وان اهم ما يجب ان يراعيه البناء

التنظيمي عبر المسيرة الثورية هو ان الواقع الثوري في كل مرحلة يشكل في نظر الجماهير الشعبية صورة للواقع الثوري بعد النصر . ان طبيعة العلاقات التي تسود بين اعضاء التنظيم بعضهم بعضا من جهة وبينهم وبين الجماهير من جهة اخرى هي التي تعطي الجماهير صورة العلاقة التي ستسود واقع المستقبل بين السلطة والشعب . فاذا كانت هذه الصورة ايجابية فان الجماهير ستتشبث بها وتدعم الثورة بكل امكانياتها وطاقاتها حتى تحقيق النصر . اما اذا كانت صورة الثورة في اي من مراحل مسيرتها صورة سلبية تسود فيها علاقات شللية واستزلامية ومحسوبيات داخل التنظيم من جهة ويمارس انتنظيم تسلطا قمعيا واستبداديا على الشعب ، فان الجماهير بحسها المرهف ، يتقلص اندفاعها نحو الثورة حتى لا يتحول اندفاعها الى دعم للمواقف الخاطئة ولصالح فئة متسلقة على اكتاف الثورة . ان انعزال الجماهير عن الثورة يعني انحراف الثورة عن خطها الاساسي .. خط الجماهير . وهدا يعني مزيد من الهزائم والفشل . واذا لم يدرك الثوريون هذه الحقيقة ، ويتفادون الانحراف الاكبر عن خط الجماهير في الوقت المناسب ، ويقومون بالتقييم الصحيح وبتصحيح كل الممارسات الخاطئة ، فان التنظيم سيفقد مركزيته الديمقراطية ويغرق في حالة من الانفصام الذي ينتج عنه حالة من الليبراليه الفوضويه والنزعات الفرديه الاستبدادية وتكون النتيجة ان يفقد التنظيم مبرر وجوده . ان انحراف التنظيم عن الفكر الذي تجسد فيه لا يأتي دفعة واحدة وانما نتيجة تكريس تراكمات الانحرافات التكتيكية . ولهذا فان مبدأ المركزية الديمقراطية في توازنه الديالكتيكي يصونه ويحميه المبدأ الاساسي للبناء التنظيمي الثوري ، **النقد والنقد الذاتي** ، والمبدأ الاساسي لقيادة التنظيم الثوري ، **القيادة الجماعية** .

للصراع الطبقي في المجتمعات التي تتناحر فيها الطبقات ، وكذلك فان الصراع الايديولوجي بين الشعوب والامبريالية يستجيب للصراع بين هذه الشعوب والامبريالية ، ولهذا يمكن ان تكون الايديولوجية علمية او غير علمية اي ان تكون انعكاسا صحيحا او وهميا للواقع .

ان مصالح الصهيونية والامبريالية العالمية والكيان الصهويني لا بد لها من تبني ايديولوجة وهمية كاذبة معادية للشعوب.

فالصهيونية مثلا لا تستطيع انتتبنىايديولوجية لا عنصرية ولا توسعية ولا استيطانية .. وبالتالي لا يمكنها ان تبني ايديولوجيتها على الحقائق الموضوعية وعلوم التطور الانساني والاجتماعي .. فلكي تدافع عن مصالحها واطماعها لا بد لها من تزييف التاريخ .. والكذب ، وخداع الراي العام العالمي بقصد تبرير وجودها العنصري الاستيطاني التوسعي الخ ...

وفي المقابل ، ان مصلحة الجماهير الفلسطينية في تحرير وطنها من الصهيونية والامبريالية تتطلب تبني ايديولوجية علمية تعتمد على الحقائق الموضوعية وتكون نقيضا ونفيا للايديولوجية الصهيونية ولحالة التشرد التي يعيشها الشعب الفلسطيني .

فمثلا نحن نتبنى ايديولوجية تحررية ثورية موجهة ضد التمييز العنصري والاستغلال الامبريالي والاحتلال الاجنبي الاستيطاني ..

لذلك لا بد من ان نقاوم حروب التوسع وطرد شعب من وطنه .. وهي ايديولوجية الحرب الشعبية طويلة الامد التي تستهدف تحرير بلادنا من الصهيونية والامبريالية وتخليص شعبنا من حالة التشرد بلا ارض .. وبلا وطن .. وبلا هوية .. بلا علاقات اقتصادية او اجتماعية .. واقامة الدولة التي ينتفي فيها التمييز ...

منطلقات ثورية

ان بعض الانظمة العربية تفهـم حرية الشعب الفلسطيني في ممارسة حقوقـه الوطنية ، وحقه في النضال من اجـــل تحرير وطنه ، بانها صيغة من العلاقات تقوم بين السلطة وجماهير الشعب ، بحيث تتيح هـذه الصيغة للسلطة المحافظة على مواقعها التي تمكنها من خنق كل تحرك ثوري عند الشعب العربي الفلسطيني ، وفرض الوصاية المستمرة عليه . امـــا جماهير شعبنا فانها ترى في تلك الصيغة منطلقاً نحو نوع من العلاقات تمكنها من الافلات من قبضة ووصاية بعض الانظمة عليها .

« فتح »

من مذكرة الى مؤتمر القمة الرابع
المنعقد في القاهرة بتاريخ ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٦٦